جامعة البصرة/ كلية الآداب
قسم اللغة العربية
المادة: اللغويات الاجتماعية
المرحلة: ماجستير/ لغة
السنة الدراسية:2019-2020
أ.د. أزهار علي ياسين غالي

عنوان المحاضرة: علم التخاطب والهوية الاجتماعية

التخاطب آلية تواصلية، وهو طبيعة انسانية تسري على الجنس البشري أجمع، وينحصر مفهومه ـ كما صرح العالم البولندي ليون كاجمان ـ بأنه عملية تبادل المعلومات بين المتكلم والمتلقي لتكون نتيجتها حصول التفاهم بين المتخاطَبين، ودلك بادراك المخاطَب قصد المخاطِب ، ومن هنا فهو علم تُعطى فيه اللغة أو الكلام المتبادل سمة الجماعية ، وهذا ما يبلور النسق الاجتماعي فيه.

ورأى د. أحمد المتوكل أنّ التخاطب ((كل عملية اتصال تتم بين متكلم ومتخاطَب في مقام معين عبر قناة معينة قد تكون لغة (ملفوظة / مكتوبة) أو إشارة أو صورة أو غير ذلك)). وقد صنفه إلى مستويين:-

1-تخاطب نفعي، وهو الذي يفضي إلى حدوث تواصل بين المتخاطبين.

ب-تخاطب غير نفعي، وهو الذي لا يفضي إلى حدوث تواصل بين المتخاطبين.

والمقصود بالتواصل ههنا تمام الفهم لخطاب المتكلم عند المتلقي من حيث فحواه ومقصده، وهذا يدلل على أنّ حاجة الإنسان إلى وجود تخاطب متبادل يعزز شروط التواصل مع الآخرين.

إذن: يمكن القول أنَّ التخاطب هو أداء وظيفي للغة / الكلام، وأحيانا لا يقتصر على القدرة على الفهم والاستيعاب للرسالة اللغوية بل يتعداه إلى قدرة الفرد على

التعبير عن هذا الفهم، فالتخاطب هو الفعل الحركي للغة، به يتم إدراك مغزى الكلام والقدرة على انشاء تخاطب مع الآخرين .

يقول المفكر العالمي سابير أنّ اللغة تتحكم دائما بما نفكر وبما نتصور فهي دالة فعلية على أفكارنا وتوصيفنا المعرفي وتصوراتنا المتعلقة بسلوكياتنا الاجتماعية فلا يمكن للإنسان التكيف مع واقعه الاجتماعي دون أن يحظى بلغة مفهومة ومتداولة عند الجميع، فالعالم الواقعي مبني على عالم العادات اللغوية أو الكلامية واستعمالاتها ضمن واقع اجتماعي وبيئي فعلي ولكي نتمكن من الشعور بذواتنا وبذوات الآخرين عند الاتصال بهم والاحتكاك معهم لا بدّ لنا من نظام للقيم الذاتية والقيم الاجتماعية، وذاك هو النظام اللغوي الاجتماعي المرتكز كثيراً على الرسائل التخاطبية المتنوعة.

إنَّ علم التخاطب يمثل لغة السلوك اللغوي المرتبطة بالتصرف الاجتماعي، أي أنَّ مجموعة قواعد السلوك اللغوي تفصح عن الهوية الاجتماعية للمتخاطبين لأنَّ هذه السلوكيات اللغوية تعد أفعالاً اجتماعية في المجتمع الكلامي ، التي تتوجه بحسب السمات الاجتماعية الدائرة فيه ، وهذا يعني أنَّ الاستعمال اللغوي لا يرتبط بغرض التفاهم فحسب على بل يسهم أيضا ـ بوصفه وسيلة تواصلية ـ بنقل السياقات الاجتماعية والثقافية على مدى أجيال ، وهذا ينسحب عليه غرس السلوكيات الاجتماعية المرغوبة بها وتفادي السلوكيات المنبوذة أو المرفوضة، وأول مرحلة لبرمجة هذه السلوكيات الاجتماعية تبدأ من عملية التخاطب خاصة في سن الطفولة والمراهقة، فتتنوع سلسلة التخاطبات بتنوع المقامات الكلامية تبعا للسلوكيات والمواقف الاجتماعية، ولا بد للسلسلة التخاطبية من معايير تتحكم فيه ضمن المحيط الاجتماعي ، تلك هي ضوابط السلوك المعياري في المجتمع، المعبر عنها بالجمل والكلمات المنتقاة من هذا المحيط .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ قسما من السلوكيات الاجتماعية تنصهر في المجتمعات عبر تفعيل تخاطبات تندرج تحتها قيودا لغوية اجتماعية، مثل: لا تفعل كذا، وهذا خطأ، وذاك عيب، وهذا صحيح، وما شاكل ذلك، فهذه الوحدات اللغوية هي وحدات تخاطبية. ضمن قناة لغوية التي يمكن أن نصطلح عليها قناة تخاطبية–اجتماعية لأننا نمرر عبرها عاداتنا وتقاليدنا وسلوكياتنا وما ذاك،إلّا لأننا نتواصل بكلام متضمن وحدات تخاطبية تظهر الخصائص الاجتماعية لكل من المتكلم والمتلقي معا.

يُقسم السلوك التخاطبي قسمين:–

الأول: التخاطب اللفظي: تُمارس أنظمة التخاطب هنا باللغة أو بالكلام سواء باستعمال قواعد اللغة أو بعادات الكلام / اللهجة ، بمعنى أنّ التخاطب هنا يُمارس عبر الكفاءة اللغوية أو الكلامية المتوفرة عند المتخاطبين. كما في التخاطب بصيغة الأمر(أفعل)، فهذه الصيغة صيغة خطابية وليست تخاطبية لأن معناها منحصر بمعنى الطلب والأمر، ولكي تتحول إلى صيغة تخاطبية يجدر بالمتكلم أن يكون صادقا في طلبه، وأن تكون هناك قدرة للمتلقي على فهم الطلب، وان يكون قادرا على تنفيذ هذا الطلب وإن يكون القصد واقعا بمعنى أن الفعل يصدقه القول وهكذا ، وعندئذ يتحول الخطاب الى تخاطب .

الثاني: التخاطب الاشاري ، وهو نقيض التخاطب اللفظي إذ يُجرى بالاشارات والايماءات ، ويحدث في حالتين:–

الأولى : امتناعا حين لا يتقاسم المتخاطبان أداة لغوية مشتركة للتواصل بها ، والثانية حين يشوب اضطراب وسوء فهم في المقومات البنيوية أو في عدم مطابقة الكلام مقام التخاطب انتاجا وتلقيا، وهذا الاضطراب الحاصل على مستوى التواصل أما أن يأتي عرضيا يحدث في مواقف تخاطبية مألوفة، أو يكون مرضيا ناتجا عن خلل عقلي أو بدني أو نفسي.

وعادة ما يكون التخاطب الاشاري فاعلا وذات قيمة انجازية مثمرة بين أفراد أو جماعات ينتمون إلى ثقافات متباينة ومختلفة ، عندما تكون اللغة عائقا للتواصل، مما يجعل التخاطب الاشاري وسيلة تواصلية تعزز الفاعلية الاجتماعية وتزيد من الربط الثقافي- الاجتماعي، خاصة:-

1- إذا كانت هذه الإشارات متفقا عليها وشائعة في الأوساط الثقافية والاجتماعية عامة كما في إشارات المرور، واشارة مدّ اليد للدلالة على السلام ، أو الرّبت على الكتف للتأبيد أو الصحبة أو شبك الأصابع للتأثير والنُصرة، هذه الاشارات كلها وغيرها جم كثير تعبر عن مواقف اجتماعية مختلفة .

2-أن لا تخضع هذه الإشارات للتأويل الخاطئ ، أي يجب وجود الفهم المتبادل على دلالتها.

3-أن تخضع للعرف والتلقائية والخبرة الإنسانية العامة، فلانحناء إشارة على التقدير والاحترام والتبجيل ولكن في مجتمعات أخرى قد تأخذ مدلولا ضد ذلك.

وهكذا تحدد أساليب التخاطب اللفظي وغير اللفظي شكل وكثافة المحتوى الاجتماعي والمهارات الثقافية-الاجتماعية، ولكي يكون التخاطب ناجعا يجب أن يعبر عن محتوى يتفق مع المعايير الاجتماعية السائدة في المجتمعات.

تتجسد عملية التخاطب في أسمى صورها في الحواريات التي تُنجز لغايات تواصلية ، والتي تتنوع تبعا للوضعية الاجتماعية والأطراف المتواصلة ، فالتخاطب الحواري هنا هو الذي يحقق الغايات التواصلية وأهدافها ، وأهمها التقارب في العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وتحقيق الاقتناع والتأثير بين الأطراف المتجاذبة للحوار.

صفوة القول: علم التخاطب يدرس كيف تكون للمقولات الكلامية معانٍ في المقامات الاجتماعية، إذ إنّ التواصل لا يتحقق الّا بمتطلبات سياقية- اجتماعية

معينة، واعمال القدرات الاستنتاجية عند المخاطَب المكملة لعملية الفهم، فالتخاطب كما تدل صيغته الصرفية (تفاعل) على التشارك بين طرفين أو أكثر، هو ممارسة كلامية تفترض لغة مشتركة وموضوعا مشتركا وقناعات مطروحة قائمة على وقائع حالية-اجتماعية .